تشكّل الهوية في قصائد شاكر لعيبي

م.م. فلاح عبد الحسن ماهور
كلية الآداب الجامعة المستنصرية
falahabdulhassan0@gmail.com

أ.م. د حيدر فاضل عباس
كلية الآداب جامعة بغداد/ قسم اللغة العربي
d.r.haider.f.a@gmail.com

الملخص:

يعدّ مفهوم الهوية من المفاهيم المتداخلة في العديد من حقول العلوم الإنسانية، من الأنثروبولوجيا، السياسة، علم الاجتماع، علم النفس، وغيرها من العلوم الأخرى، وهذا يجعل اختلاف تعاريفها ومفاهيمها أمرا طبيعيا، والسبب في ذلك هو اختلاف وجهات النظر الفكرية، ومن هذا المنطلق فقد ارتأينا البحث في موضوع الهوية ومحاولة الاقتراب من مفهومها والبحث عن تمثلها في قصائد شاعر عراقي مهم هو الشاعر شاكر لعيبي. تحت عنوان تشكّل الهوية في شعر الشاعر شاكر لعيبي

تبرز أهمية هذا الموضوع كونه يبحث عن مفهوم الهوية في منجز ثقافي لشاعر عراقي وأكاديمي مهم له كثير من الانجازات على صعيد الفنون والمعرفة وينتمي لجيل شعراء السبعينيات. ومما يؤسف له ان هذا الشاعر ونتاجه الشعري لم يحظ باهتمام الباحثين ، فحسب علمي ام أجد أي دراسة تناولت قصائده. وعليه سيكون بحثنا هذا في موضوع مهم وهو الهوية من خلال قصائد شاكر لعيبي.

الكلمات المفتاحية: التشكّل، الهوية، التمثّل، شاكر لعيبي، قصائد.

Abstract:

The concept of identity is a multifaceted notion that intersects with numerous fields within the humanities–anthropology, politics, sociology, psychology and others.

This interdisciplinary nature naturally gives rise to varying definitions and interpretation, each shaped by dithering intellectual perspectives.

From this standpoint, the present study seeks to explore the notion of identity and examine its representation in the poetry of prominent Iraqi Poet, Shaker Laiby. Under the title" The Identity formation in poems of shaker Laiby" this research endeavors to approach the essence of identity as reflected in his poetics works.

This significance of this study lies in its focus on identity as manifested in the cultural output of an influential Iraqi poets and academic-one whose contributions to the realms of art and knowledge are substantial, and who belongs to the distinguished generation of 1970s poets

Key Words: The Formation, The Identity, The Represented, Shaker Laibe, Poets

سيرة الشاعر العلمية والادبية:

شاكر لعيبي:

ولد سنة ١٩٥٥م في العراق، أنهى دراسته في الجامعة المستنصرية في بغداد بحصوله على بكالوريوس في التربية وعلم النفس في عام ١٩٧٧م. غادر العراق متنقلا بين العواصم والبلدان، فمن بيروت الى اليمن الجنوبي ثم الى دمشق حتى استقرّ به المقام في مدينة جنيف في سويسرا عام ١٩٨٤م. تخرّج من المدرسة العليا للفنون البصرية في جنيف، سويسرا ١٩٨٨-١٩٩٢. حاصل على درجة الماجستير من كلية العلوم الاجتماعية والسياسية في جامعة لوزان/ سويسرا ودكتوراه في علم الاجتماع ٢٠٠٣

أسس سنة ٢٠٠٠ (مركز التوثيق السويسري العربي) في جنيف، وأنتخب مديراً عاماً له. نشر العديد من الكتب والبحوث والدراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية والفن الإسلامي، بالعربية والفرنسية.

قام بتحقيق:

١ـ رحلة ابن فضلان ٩٢١م، تحرير وتقديم مع دراسة طويلة عن ابن فضلان ودارسيه، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٣.

٢ـ رحلة المقدسي (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، تحرير وتقديم، مع بحث طويل عن أهمية عمل الجغرافي والأنثروبولوجي المقدسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٣.

٣ـ رحلة ابن بُطلان ١٠٤٩م: صنعها وحققها مع دراسة عن كيفية استخراج هذه الرحلة من المراجع التاريخية وأهمية مؤلفها وهو طبيب من العصر العباسي. (تصدر عن المؤسسة العربية).

وغيرها من المنجزات الثقافية؟

البحث:

لا بدّ لنا قبل الخوض في موضوع البحث الوقوف على مفهوم الهوية كونها عماد هذا البحث وكذلك كون مفهومها سيهيننا في مجال بحثنا هذا.

مفهوم الهوية:

يمكن القول ان الهوية من المفاهيم التي نالت اهتماما كبيرا من لدن الباحثين والدارسين في المجالات الثقافية والمعرفية والتي حدت بالبعض بالقول بأن القليل من المفاهيم هي التي حظيت بالتضخيم الذي عرفه مفهوم الهوية (محمد فاضل رضوان، نحن والعولمة، مأزق مفهوم ومحنة هوية، الشبكة الدولية)، وسبب ذلك ان هذا المفهوم قد تناولته عدة حقول من حقول العلوم الإنسانية مثل السياسة والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها من الحقول والعلوم وهذا ما جعل المحاولات لإحداث مقاربة نظرية مفاهيمية فيه من الصعوبة الشيء الكثير.

الهوية لغة:

لقد ارتبطت لفظة (هوية) من الناحية اللغوية بالضمير (هو) مضافاً اليه ياء النسبة التي ترتبط بوجود الشيء المعنيّ، وقد تعددت وتنوعت تعاريف الهوية في معاجم اللغة العربية، فهي عند ابن منظور" الفعل هوى وهوى بالفتح يهوى هوينا وهويانا وانهوى: سقط من فوق الى أسفل، واهواه هو، يقال اهواه إذا ألقته من فوق" وقيل الهوية: الهوية بئر بعيدة المهواة (منظور، ١٨٦٣، الصفحات ١١٦-١١٧) .

وقريب من هذا المعنى عند الفيروز آبادي (ابادي، ٢٠٠٥، صفحة ١٣٤٧)

وكذلك في المعجم الوسيط. (المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٥، ٢٠٠٦، صفحة ١٠٠٢)

وقد وردت الهوية عند مراد وهبة في المعجم الفلسفي" هوية identity، identity تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود، الا انها ليست تنطلق على الصادق، هي ايضا من الالفاظ المنقولة لأنها عند الجمهور حرف وهنا اسم، ولذلك الحق بها الظرف المختص بالأسماء وهو الالف واللام واشتق منها المصدر فقيل الهوية من الهوى كما تشتق الانسانية من الانسان والرجولية من الرجل (وهبة، ٢٠٠٧، صفحة ٦٦٧)

اما في المعاجم الاجنبية فقد عرّفها قاموس روبير الفرنسي بانها: "ما يسمح بالتعرف على الشخص بين جميع الأشخاص الآخرين " (منور، د.ت، صفحة ١٦)

وفي قاموس اكسفورد تُعرّف الهوية بانها: "الشيء هو نفسه وليس شيئا آخر" (Coulson .J Carr.C.T, The Oxford Illustrated Dictionary, Fifth Edition, New York, 1979, p418)

ان لفظ الهوية "(L,identite) مشتق من الكلمة اللاتينية (Ed,m) التي تقال عن الاشياء او الكائنات المتشابهة او المتماثلة تماثلا تاما، مع الاحتفاظ في ذات الوقت بتمايز بعضها عن بعض بمعنى ان الكائنات قد تتفق وتتشابه وقد تختلف وتتميز عن بعضها البعض (A Hegel Dictionary. First Edition. Michael Inwood. Published by Blackwell Publishers Ltd.1992, P131). والهوية في قاموس لاروس تعني "مجموع الظروف، او الحيثيات التي تجعل من الشخص شخصا مميزا او محددا" (منور، د.ت، صفحة ١٢)(

الهوية اصطلاحا:

تتعدد مفاهيم وتعريفات الهوية في مختلف العلوم مثل الثقافة والسياسة والادب وعلوم الاجتماع والنفس وغيرها، كونها تتداخل في مجال استخدامها في هذه العلوم، وقد تتغير دلالات الهوية بتغيير مجالات استخدامها

واشتغالاتها، فموضوع الهوية قد نال اهتمام الفلاسفة والباحثين والدارسين منذ القدم حيث سؤال الهوية قديم قدم الانسان وقدم انشغاله الاجتماعي والثقافي (البازعي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٠) ورغم تعدد تعريفات الهوية الا انها في جميع العلوم لها تعريفات متقاربة واهم تعريف لها هو: الخصوصية والتميز عن الغير (خليل نوري، ٢٠٠٩، ص٤١) فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره، وتكون فاعليتها متجددة، وكلما ازيلت من فوقها طواريء الطمس والحجب تتجلّى دون ان تخلي مكانها ومكانتها لغيرها من البصمات (عمارة، ١٩٩٠ ، صفحة ٦)

ان مفهوم الهوية ليس مفهوما اصيلا في الثقافتين العربية والاسلامية وانما هو مصطلح متسرّب واول من استخدمه هو سلامة موسى في ثقافتنا العربية وبعض الباحثين العرب الذين اهتموا بمسالة الهوية توقفوا عندها تحت مسميات مختلفة منها الشخصية ومنها الذات (البازعي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٨)

نال مفهوم الهوية اهتماما كثيرا من لدن كثير من المفكرين والباحثين، فنجد في الادبيات الحديثة والمعاصرة مفاهيما مختلفة لهذا المفهوم، يظهر خطاب الهوية فيها متشابها، ويتحرك ضمن مجالات عديدة كعلم النفس والاجتماع والسياسة والحقوق والأنثروبولوجيا... وغيرها. ويمكن أن نشير إلى تصورين أساسيين للهوية:

يرى التصور الاول أن الهوية ماهية ثابتة مكتملة متحققة في الماضي وأن الحاضر ما هو الا محاولة لأدراك هذا النموذج (المثال) وتحقيقه (عمارة، ١٩٩٠ ، صفحة ٢٤) . إي بما معناه ان الهوية مرتبطة بالثوابت وهذا دليل على حفظها واستمراريتها عبر الزمن.

أما التصور الثاني: فهو تصور دينامي، يرى أن الهوية يتم اكتسابها وتعديلها باستمرار، فهي قابلة للتحول والتطور. (محمود، ١٩٩٣، صفحة ٦٧)

بينما محمد عابد الجابري يرى" أن الهوية كيان يصير، يتطور، وليس معطى جاهزا ونهائيا، هي تصير وتتطور، إما في اتجاه الانكماش، وإما في اتجاه الانتشار، وهي تعتني بتجارب أهلها ومعاناتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم وأيضا، احتكاكها سلبا وإيجابا مع الهويات الثقافية الاخرى" (الجابري، ١٩٩٨، صفحة ٢٩٨)

ومما تقدم قان الباحث يرى ان نميز بين قسمين(نوعين) من الهوية، بين ما هو ثابت في الهوية يمكن ان نطلق عليها : الهوية الثابتة او الاصلية او المتحققة او الاصيلة حيث تتشكل الهوية في بداياتها من جملة من المعطيات التي يكتسبها الانسان من بيئته ومن انتماءاته العرقية والدينية ، وان هذه المعطيات تظل مرافقة وملازمة لحاملها وتكون عنوانا له ودالة عليه كونها من الثوابت، كالعرق والجنوسة واثر البيئة وغيرها من المعطيات غير القابلة للتبدل، بيد ان هناك بعض المعطيات التي تتشكل ثم ما تلبث ان تتطور او تتغير او تستحدث نتيجة معطيات

جديدة يكتسبها الانسان من خلال اتساع مداركه ونضج رؤاه الفكرية التي يكتسبها من ثقافته واطلاعه وقراءاته واحتكاكه بطبقات مختلفة من الناس والافادة من تجاربهم ، ونتيجة لذلك فقد يتمسك ببعض انتماءاته واعتقاداته وآرائه بعد ادراكه صحة وسلامة هذه الاعتقادات او الآراء، فيسعى للحفاظ عليها وتطويرها ، وقد لا يتمسك ببعض انتماءاته او آرائه نتيجة اكتشافه خطاءها او فسادها او عدم نجاعتها. فيسعى الى تغييرها او تصحيحها او هجرها والبحث عن بديل لها. من قبيل اعتقاداته الدينية والعقلية والفكرية وانتماءاته السياسية واراءه وافكاره المختلفة سوآءا السياسية او الاجتماعية والفكرية او الثقافية او سلوكياته او ممارساته. ويمكن ان نطلق على هذا النوع: الهوية المتغيرة او الهوية المتحصلة. والنوع الثاني من الهوية هي المعنية بالبحث والدراسة. فالجنس والعرق والشكل هما ثوابت من الصعب ان تتغير بينما الافكار والاعتقادات والثقافة تكون قابلة للتغيير، ولكن تحقق هذا التغيير مرتهن بإرادة ورغبة وقابلية الشخص الباحث عن التغيير، تارة وتارة ما تفرضه مستجدات واحداث تهيمن بتأثيراتها على الاشخاص مثل التغييرات الاجتماعية والدينية والسياسية وكذلك تأثير الثقافة والمثاقفة والاختلاط ، وكل هذه العوامل ستشكل نسقا ضاغطا، فقد يمتلك الشخص الرغبة في التغيير الا انه ليست لدية القابلية على فعل ذلك فبالتالي تسعى الذات الى الانكفاء على نفسها حيث تكون في حالة خوف من الامحاء والانسحاق وهذا ما يقودها الى التقوقع (حمود، مارس ٢٠١٣.، صفحة ١٦) وقد يمتلك الاثنين معا(الرغبة والقابلية) الا ان البيئة والمجتمع وظروف السلطة يحولان دون التغيير وبالتالي يكون الاغتراب نتيجة لذلك. وعليه فان الهوية بهذا التمييز هي عملية تشكل وسيرورة تتعاضد بها الرغبة والقابلية وتسندها المتغيرات والبيئة والتي تسهم بذلك في تحقق هذه السيرورة وان هذه السيرورة تكون في حالة تجدد مستمر حسب الحاجة ويكون للمثقف الدور الكبير حسم مسالة السيرورة من حيث هو الفاعل الرئيسي المناط به عملية احداث التغيير، فهو لا يمكن له ان يتقبل فكرة ان الهوية تتقوقع على الذات وعدم الانفتاح على الاخر لان هذا معناه الجمود والضعف وهذا ما يناقض مفهوم الثقافة الذي يقوم على التطور والاعتراف بكل معرفة جديدة (حمود، مارس ٢٠١٣.، صفحة ١٦)

التطبيق:

تظافرت جملة من العوامل والظروف واسهمت فيما بعد في تشكيل هوية شاكر لعيبي، فقد مرت بتحولات ومتغيرات وسيرورة الى ان تشكّلت واستقرّت.

ومن خلال دراسة قصائد شاكر لعيبي والاطلاع علي نتاجاته الاخرى غير الشعرية(اعماله التشكيلية، مقالاته وآرائه النقدية) وكذلك دراسة الجيل الشعري (جيل السبعينيات) الذي ينتمي اليه حقبة وتفكيرا ونتاجا، كل ذلك مكننا من

رصد مراحل وسيرورة تشكل الهوية عند شاكر لعيبي وقد كشفت ان نسقا مضمرا مهيمنا على شاكر لعيبي ونقصد نسق الهوية، فقد بدا ان شاكر لعيبي كان ولما يزل باحثا عن هويته وان مسالة الهوية كانت ومازالت هاجسا يحدو مسيرة شاكر لعيبي شاعرا وناقدا وتشكيليا وفوق هذا وذاك انسانا وما اعماله الشعرية وغير الشعرية الا مثالا شاخصا لهذه القضية.

ان هوية شاكر لعيبي لم تتشكل وتتبلور تلقائيا وانما هي هجين من الاختلاطات والمثاقفة والتأثر والتأثير فالهوية ليست خالصة بل تمتاز بالهجنة كونها بسبب الاختلاط والانفتاح والتداخل بين الثقافات والحضارات والافكار الانسانية (النوايتي، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.، صفحة ١٠٧)

ومن هذا يمكننا ان نوشر لمراحل تشكل الهوية عند شاكر لعيبي:

اولا: مرحلة البدايات:

يمكن رصد هوية الشاعر شاكر لعيبي من خلال قصائده المبثوثة في ديوانه ذي الجزءين والتي شخصنا من خلالها ملامح وعلامات هذه الهوية:

ففي مجموعته الشعرية الاولى المرتبة بعض قصائده حسب سنين كتابتها. نطالع المقاطع التالية:

في ديوانه الاول (أصابع اليد) الصادر عام ١٩٧٦، في قصيدة(اليد) يقول شاكر لعيبي:

أتساءل مرّاتٍ

عن ساحرتين

برؤوسٍ خمسة تكتشفان نواميسا

وتضيئان تضاريساً

وتديران العجلة. (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ١٦)

وفي قصيدة (كتاب الازهار) يقول:

انت تكونين معي في خلوتي

في الصحراء الساخنة الاطراف

وتحت الامطار

هناك نلمّ الانهار على ارض ضيقة

استمعي الان (النيل) ينام جوار

الجارية الفرعونية، يحكي

أسرار الهرم الاشيب.

يروي ايام العربات الحجرية والايقونات المسرورة

الفولكا يستلقي قرب الاعشاب

منتشيا يهذي

يصرخ بسقوط الطوطم .....

قولي للدانوب سلاما.....

يكسر قارورته الرعناء

ويرميها للأسماك الميتة

بَرَدى شاخِ

وضاعت في قارورته ضحكات الاموي السكّير.....

ويمضي فيقول ايضا:

في غرفتيّ(السين) يشاربني خمرا ويحدّثني عن عمّال النسج ويشتم

أحياناً أوغسطين

لكن أحياناً يأخذه الغمّ

فيمتدّ الى جسد القديسة ماريا، يمنحه بركات الصَدَف النهري .....

مهموما وحيدا في طرقات الثلج السيبيري.....

تكونين معي في أحراش الميسيسبي؟

وتحيطين منابعه بمصباته. (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٣٧)

نجد في هذه المقطوعات تشابكا واكتظاظا بين الرموز المتعددة والمتنوعة (تاريخية، واسطورية ودينية) والامكنة المتنوعة، من بينها مدن تاريخية قديمة واخرى معاشه: (ساحرتين برؤوس خمسة، النيل، الجارية الفرعونية، الهرم الاشيب، الفولكا، الطوطم، الدانوب، بَرَدى، الاموي السكير، السين، اوغسطين، القديسة).

تتشابك هذه الرموز والمدن والانهار وتتوالف في تشكيلات لغوية خالقة فضاءات وابعادا محسوسة تارة ومتخيلة تارة اخرى، وهي تبدو للوهلة الاولى والقراءة الاولية بانها مزيج غير متجانس، غير اننا إذا ما تأملنا هذه المقاطع وقمنا بمحاولة تحليل هذه الرموز وفك شفراتها، يمكن النظر بقراءة فاحصة الى هذا التشابك والاكتظاظ من زاويتين:

الاولى:

ان هذه النصوص تمثل مرحلة البدايات لكل اديب او فنان وهي مرحلة التقليد والمحاكاة لمن سبقوه ومحاولة تلمّس الطريق للولوج الى عالم الادب والفن وهذا ما مرّ بها الشعراء في الآداب العالمية والفنانون على مر العصور الى يومنا هذا، أما مسالة ذكر الرموز والاساطير والمدن فهو امر سائد عند من سبقوه من الشعراء. فقد دأب على ذلك رواد القصيدة الحديثة في مرحلة الاربعينيات امثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وغيرهم وكذلك جيل الخمسينات والستينات وصولا الى الجيل الذي ينتمي الية شاكر لعيبي (جيل السبعينيات) وتزخر نتاجات هؤلاء الرواد وغيرهم بهكذا مواضيع.

الثانية:

ان ذكر هذه الرموز والاساطير والاسماء هي أشبه بعملية لفظ ما اكتنزه الشاعر من معلومات وتأثره بثقافات مختلفة بسبب المطالعة والاطلاع على الموروثات والثقافات الاخرى ولاشك ان المعلومات والثقافات تمثل انساقا مضمرة مهيمنة صاغت وعي الشاعر ورسمت له بداياته مثل النسق الديني والتاريخي والبيئة ، وكلها قادت الشاعر تارة عبر وعيه المتشكل بفعل هذه الانساق وتارة انسياقا للاوعي الذي خلفته هذه الانساق فمفردات مثل: (ساحرتين برؤوس خمسة، النيل، الجارية الفرعونية الهرم الاشيب، الفولكا، الطوطم، الدانوب، بَرَدى، الاموي السكير، السين، اوغسطين، القديسة ماريا، القرنة، الفرات، الشام، البصرة) هي عناوين لمواضيع وثيمات متعددة وما ترمز لها ترسخت في ذهن الشاعر، فاراد ان يستعرضها وهي سمة لأغلب شعراء تلك المرحلة وهذا ما يبينه لنا احد رموز تلك المرحلة وذلك الجيل وهو الشاعر هاشم رفيق حيث يقول: " ان غالبية من كنت اراهم في مطلع السبعينات من جيلي وعلى مختلف توجهاتهم الثقافية ان كان شاعرا او رساما، قاصا او مسرحيا كان يحمل كتابا في يديه لغرض القراءة او ليريه لصديقه من اجل الجدل والتوقف عند بعض الفقرات..... كان البعض يميل الى استعراض المعلومات والتباهي بما كان يقرأ، والبعض كان يقرأ ويحوّل ما هضمه الى مادة إبداعية " (شفيق، ٢٠١٤، الصفحات ٧٨-٧٩)

وعندما نقف عند السياقات والانساق الشعرية في مفردات قصائد شاكر لعيبي في هذه المرحلة نرصد من خلالها المفردات المشتبكة مع رمز دينيّ تارة واخرى مع رمز اسطوري هذه المفردات المشحونة بالسردية التأريخية تكشف لنا مخبوءا من مضمرات الانساق المتكونة من خلال البيئة والتربية والثقافة المتأثرة والمتمركزة في اللاوعي والمبثوثة في قصائده،

ثانيا مرحلة السيرورة (سيرورة الهوية):

يرى ستيوارت هيل ان الهوية غير قارة وهي لا تكتمل ولا تنتهي أبدًا، ..... فأنها دومًا في تطور وتغير كالذاتية نفسها فالهوية دومًا هي في طورٍ من التشكل (كينج، ٢٠٠١، صفحة ٧٩)

وعليه فان البعض يرى انه يتعين ان ننظر الى الهوية في إطار عملية التغيير على أنها في حالة دائمة من التطور والتكون أو التحول، إنها كينونة مستمرة شكلًا ومضمونًا (بركات، ٢٠٠٤، صفحة ٢٣٦)

فالسيرورة تتحقق بفعل تفاعلات الظرف التاريخي والاجتماعي وتبدلات الزمان والمكان فيُحدث هذا التفاعل تغييرات تكون مصحوبة بتحيّزات معرفية تقود بالضرورة الى تحيزات ثقافية وهذا بدوره مدعاة ان يخلق حافزا نحو تشكل جديد للهوية

اما بالنسبة لشاكر لعيبي فقد سبقت تشكل الهوية رغبة الشاعر الجامحة في البحث عن هوية جديدة ومحاولة الانعتاق من الانساق القديمة التي هيمنت على مسيرته وهذا ما تجلّى في بواكير قصائده الاولى وما بعد ذلك فنطالع في ديوانه الاول (اصابع الحجر) في عام ١٩٧٦ في قصيدة الحجر قوله:

أتساءل حينا

عن اليد تفتح نافذة في العراء

وحينا عن اليد التعبانة

وعن اليد مرسومة بالغصون

ومبلولة بالهواء

أتساءل حينا

عن اليد في كرنفالاتها

مرة اذ تجيب الحديد على غيه

وتشمت جذلانه بالصخور

مرة اذ تمر على منجم متخم

وتفك خزائنه الوافرة

أتساءل مرّاتٍ

عن ساحرتين

برؤوسٍ خمسة تكتشفان نواميسا

وتضيئان تضاريساً

وتديران العجلة. (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ١٦)

في هذه المقاطع نجد فيها محاولة الشاعر شاكر لعيبي البحث عن هويته، حيث يبدا بالتساؤل محاولا استكشاف ذاته مستعينا باليد التي تحل محل ذاته، فاليد ليست مجرد عضو من الجسم بل هي تتحول الى كائن يمثل ذات الشاعر ومرآة له من خلالها يشير الى الاشياء ومن خلالها ينطق عما في نفسه من ارهاصات وتطلعات واماله فهي اذن كاشفة لرغبته وحاجاته (محمود خير الدين ، رمزية اليد في ديوان" كل ما صنع الحداد" لشاكر عبد الحميد،) فالشاعر هنا يتساءل وكأنما يبحث عن نفسه فذاته تعيش في العراء وهي مبلولة.

ثم لا يكتفي بالبوح وكشف معاناته وانما يلجأ لمن يدلّه على الطريق ويُدنيه من غايته فيقول في قصيدة " الى التاريخ":

ايها الشيخ خذ بيدي

واستدر بالسفينة

دلّني عن مكان أمن

.....

ايها الشيخ أعطني كوثرا

ومياها زلالا

....

ايها الشيخ

يا طرقي الشائكة

.....

ضع خطانا

على سكة سالكة

ضع بغال الحدود

على سطح آمن

.....

دلّنا

فطرقه شائكة وهو تائه فلعل الشيح يهديه ويدله على طرق امنة، فمحنته هي ما يعانيه وأقسى منه ان طرقه شائكة فقد اضاع البوصلة ولعل الشيخ هو من ينقذه

هنا الشاعر يستعين بالشيخ وما تحمله هذه الكلمة من محمولات ورمزية، فلفظة الشيخ: رغم كون معناها المعجمي تطلق على الكبير الطاعن بالسن غير ان انزياحا قد يعتري هذه اللفظة فتنصرف الى معنى اخر، فقد تطلق على الشخص الذي يكثر علمه ويشتهر بالعلم والحكمة عند الناس، كما يقول الراغب الأصفهاني: "يقال لمن طعن في السن الشيخ، وقد يعبّر به فيما بيننا عمن يكثر علمه، لمَّا كان مِن شأن (الشيخ) أن يكثر تجاربه ومعارفه " (الاصفهاني، د.ت، صفحة ٢٧٠)

لقد مثلت معاناة الشاعر واهاته وتساؤلاته تطلعا نحو البحث عن هوية له وكان يعزز هذا التطلع هو الواقع السياسي والاجتماعي البائس الذي كان يعاني منه الشاعر خاصة والمثقف والعراقي عامة مما شكل نسقا ضاغطا يحمل تمردا ورفضا للواقع من جهة ورغبة في عالم أرحب من جهة اخرى..... ومن هذا كله نجد ان السيرورة تحققت وقادت بالتالي الى تشكل هوية شاكر لعيبي.

المرحلة الثالثة (تشكل الهوية)

بعد هذا المخاض المضني وتحقق السيرورة تشكلت هوية الشاعر شاكر لعيبي جليّة، وقد تجلت هذه الهوية في نصّ مهم من نصوص شاكر لعيبي الا وهي قصيدة (ميتافيزيك) والتي حاول الشاعر شاكر لعيبي خلالها ان يقدم

لنا نصا تتعدد فيه الابعاد النفسية والعقلية والشعورية وما تحمله هذه الابعاد من تناقضات ومتضادات من خلال بناء شعري ابتداءاً من العنوان" ميتافيزيك" ومحمولات هذه اللفظة وانتهاءاً بمحاولته اعادة تفسير الاشياء، فالعنوان هنا يمثل مدلولا ودالّا " ان اخص ما اتجهت اليه عنوانات الشعراء المعاصرين هو العنوان الايحائي الرامز الى افكار بعينها يتضمنها النص، والعنوان في هذه الحالة لا يعبّر عن المضمون بقدر ما يرمز الى الدلالة الايحائية لفكرة الشاعر " (العجلان، د.ت، صفحة ٢٤٠)

ابتدأ الشاعر شاكر لعيبي قصيدته هذه بالإهداء حيث يقول:

الاهداء:

الى اصدقائي

اليف وباء وتاء وثاء وجيم

وحاء وخاء ودال وذال

وراء وسين وشين وصاد وضاء وطاء وظاء

وعين وغين وفاء وقاف وكاف ولام وميم ونون وها وياء

الذين يحبونني او لا يفعلون

الذين طالما كانوا الى جانبي في طبائع الشعر (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ١٩٢)

يعدّ الاهداء احدى عتبات النص كما يرى جيرار جينيت (بلعابد عبد الحق، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨، ينظر: ص ٩٣)، وهو من أهم العتبات المهمة في دراسة النص الأدبي أو الفني. فهو الأساس الذي يتحكم في دلالات النص حسب القراءتين الأفقية والعمودية، وعليه تبنى دلالاته السطحية والعميقة. كما أنه الأساس الموضوعاتي الذي يتحكم في بناء الأشكال الإبداعية، واختيار الفنيات الجمالية والأسلوبية. (حمداوي، د.ت، صفحة ٦)

لقد عنون الاهداء الى كل الاسماء والالقاب التي رمزت لها الاحرف ثم بدأ يخصصها: الذين يحبونني او لا الذين وقفوا بجانبه في طبائع الشعر فهذا الاهداء يتجاوز كونه اهداءاً مرسلا من قبل الشاعر الى اشخاص معينين وانما هو مثابة بيان او اعلان عن موقف او رؤية يروم الشاعر من خلاله بث رؤاه وايصال رسائله أي انها شفرة تحمل في ثناياه ما اختزلته ذاكرة الشاعر وما تمخّض عنها وما سوف يتمخض، ثم بعد ذلك يبدا القصيدة بمجموعة من الاشكال والرموز (الطلاسم) عددها ١٢ طلّسما تتباين اشكالها ومضامينها وكذلك مصادرها، فمنها ما استعاره من كتاب الجواهر اللماعة في استحضار ملوك الجن لابي حي الله المرزوقي ، ومنها من طواسين الحلاج وفتوحات ابن عربي وكتاب الاوفاق للغزالي كما صرّح بذلك الشاعر (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٢٢٤) وجعل بعد كل طلسم مقطعا شعريا، ثم في نهاية القصيدة يضع عنوانا يسميه(هوامش) يشرح وجهة نظره او مبتغاه مما كتبه في هذا النص وهنا تتجلى اهمية ما كتبه كونه يكشف لنا عن هويته، فالنص مغرق بالشفرات والمضمرات من الانساق.

تكمن اهمية هذا النص اولا: كونه يقدم الشاعر فيه شرحا وتفسيرا لما قاله عندما وضع في نهاية القصيدة عنوانا اسمه الهوامش شرح فيه ما اراد قوله فبالتالي سوف يحلّ مشكلة او عناء تفسير ما يريد قوله وهذا ما قلناه اعلاه من ان القصيدة بمثابة اعلان موقف او رؤية ... فيقول مثلا :" فالنص في جزئه الاول خاصة ينبني على اساس استقراء لمكامن اللذة في جسد العالم في مكمن انثوي بعينه خاصة، من اجل ادغام اللذوي (من اللذة) بالمقدس" (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٢٢٢) غير انه بنفس الوقت لم يجعل لنصه قراءة نهائية بل ترك للمتلقي حرية تأويل ما كتبه حين يقول:" اذا كان يجوز للشاعر ان يشير بمدخل لقراءة نصه فان هذه الهوامش تودّ ان تكون محض علامة في طريق القراءة لا غير ، تاركة للقارئ حرية التأويل " (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٢٢٢)

يقول شاكر لعيبي في أحد المقاطع:

ها هنا يختبر الصاغة النار في معابد قلوبهم

القرّاطون ينظمون قلادة الساخر

هنا درب الديباج الذي تجتازه أمتار البزازين مسودة الاطراف (شاكر لعيبي، ٢٠١٨، ص ٢٠٦)

.....

لفرط ما مرت عليها الانامل

الحلوائيون يختبرون شدق العالم بسكاكر طفولتهم

هنا درب الالام الذي بعثرت فيه اثواب القديسين روائحها (شاكر لعيبي، ٢٠١٨، ص٢٠٦)

(درب الالم هو الدرب الذي مر به المسيح في القدس كما يقول الشاعر (شاكر لعيبي، ٢٠١٨، ص ٢٢٤)

وفي موضع اخر نراه يستشهد ببيت شعر للأمام على عليه السلام ورواية مروية عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آلة:

اموالنا لذوي الميراث نجمعها

ودورنا لخراب الدهر نبنيها

(ديوان، د.ت، صفحة ١٥٩)

مازالوا في العراء يصلون راس الكبش بالنار

النار تهسهس

لظى لظى

بصير واعمى

اطعموني اكلكم كلكم

اهلكم ومالكم (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٢٢٠)

(لظى لظى بصير واعمى) هي رواية ابي عمر النخعي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آلة) (الزمخشري،، د.ت، صفحة ١٨٣)

تكمن اهمية هذا النص الشعري (ميتافيزك) كونه يُنبي عن هوية تمزج التاريخ بالحاضر والمقدس بالمدنس والرموز باللغة والاشياء بالأشكال، وان ما يميز هذه هذا النص (ميتافيزيك) هو قدرته على تحمّل الدلالات التي تقود الى تأويلات متعددة يبقى الشاعر شاكر لعيبي هو الباثّ لها والمسؤول عن خلقها والقائها في ساحة المتلقي فهذه

القصيدة تعدّ من القصائد المهمة في مسيرة الشاعر والتي مثلت من وجهة نظر الباحث مفصلا مهما في مفاصل مسيرة الشاعر الشعرية والفكرية كونها تحمل تشفيرات قابلة للتأويل والتفسير.

ويمضي الشاعر شاكر لعيبي على نفس النهج والمنوال في قصيدة (هلالات) هذا النصّ المهم الذي من خلاله تتمظهر هوية الشاعر اكثر واكثر ،هذا النص المشحون بالدلالات والافكار والتي يحاكي بها مادوّنته مخيّلته الشعرية في قصيدة ميتافيزيك

يقول الشاعر:

هذا المنحوت من صخرة حبشيّة

بيديّ هاتين أُمسّد خصلته

أدوّر فصّه في اصبعي كخاتم

هذا الغريب الباسط كفّه منذ الازل

هذه الحدوة المعلقة في الحديقة

هذه الغصين المنحني على الصليب

هذا اليتيم في افق الحجار الكريمة

هذا العاري في احتفال الكواكب

.....

سبط الحجر

نون القيامة

كعب الغزال

نشرح قليلا ثم نستمر.....

وفي مقطع اخر يذكر منازل النجوم

البطين، الرشا ، الثريا ، فرع المؤخر، الدبران ، فرع المقدم، الهقعة ، الاخبية، الهنعة، سعد السعود، الذراع، سهد بلع، النثرة، الذابح، الطرفة، البلدة، الجبهة، النعايم،الزبرة، الشولة، الصرفة، القلب، العواء، الكليل، السماك، الزبانيا (الزمخشري،، د.ت، الصفحات ٣٣٣-٣٣٢)

(*) هذه منازل القمر وعددها ٢٨ منزل التي ينزل بها القمرليلة واحدة في كل منزل كما قسمها علماء العرب القدامى ، امين، المعلوف، ١٩٣٥، ينظر : ص ٧٦

ثم يقول في مقطع اخر:

يا هلالا ناحلا ينثر الاعياد كالحلوى

يا خيمة العربي

يا هلال بني هاشم

ايها المنقوش على حيطان بابل

المرفرف فوق قلاع الترك

أيها البدري (لعيبي، ٢٠١٨، صفحة ٢٣٤)

هكذا نجد احتشاد الرموز الدينية والتاريخية والروحانية والتراثية كما في قصيدته ميتافيزيك .

النتائج:

خرجت من خلال هذا البحث مجموعة من النتائج يمكن اجمالها كالاتي:

١ـ شكّلت موضوعة الهوية أهمية كبرى عد الشاعر شاكر لعيبي وقد توضحت من خلال هذا البحث.

٢ـ لم يستسلم الشاعر شاكر لعيبي للهوية التي شكلتها الظروف والبيئة دون وعي منه. بل حاول الانعتاق من هذه الهوية والبحث عن هوية خاصة له عن وعي وأدراك منه.

٣ـ مرّت الهوية عند شاكر لعيبي بسيرورة فرضتها الظروف والتحولات الفكرية للشاعر مما أدّى ذلك الى انبثاق هوية كان الشاعر ساعيا للوصول اليها، وكل ذلك تمثّل في قصائده التي استند اليها هذا البحث للوصول الى هذه النتائج

٤ـ مثّلت القصائد المختارة في هذا البحث تجسيدا واضحا لما سعى اليها هذا البحث في اثبات تشكل هوية عند الشاعر شاكر لعيبي.

٥ـ كانت قصيدة " ميتافيزيك" وقصيدة " هلالات" معلما مهما في تشخيص هوية الشاعر شاكر لعيبي التي انتجتها سيرورة ووعي الشاعر.

٦ـ تميزت هوية الشاعر شاكر لعيبي بانها هوية ثقافية بامتياز تضمّ في ثناياها التراث والفكر مستلهمة التاريخ للوصول الى هوية مستقرة ذات ملامح واضحة.

المصادر والمراجع:

- A Hegel Dictionary. (١٩٩٢). *First Edition. Michael Inwood. Published by Blackwell Publishers Ltd..*
- Coulson. J Carr.C.T. (١٩٧٩). *The Oxford Illustrated Dictionary, Fifth Edition, New York, .*
- ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (١٨٦٣). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دار صادر.
- احمد منور. (د.ت). *الادب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، .* الجزائر.
- الراغب الاصفهاني. (د.ت). *المفردات في غريب القران، تحقيق: محمد سيد الكيلاني*. بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- *المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط٥ .* (٢٠٠٦). القاهرة، مصر.
- المعلوف امين. (١٩٣٥). *المعجم الفلكي، ط١ .* القاهرة: دار الكتب والوثائق المصرية.

- أنطوني كينج. (٢٠٠١). *الثقافة والعولمة والنظام العالمي، ترجمة شهرت العالم وهالة فؤاد ومحمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة*. القاهرة.
- بلعابد عبد الحق. (١٤٢٩ه ـ ٢٠٠٨.). *عتبات جينيت من النص الى المناص، منشورات الاختلاف، د١*. الجزائر.
- جار الله محمود بن عمر الزمخشري. (د.ت). *الفائق في غريب الحديث، ت: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢*. الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، .
- جميل حمداوي. (د.ت). *شعرية الإهداء، ط ١* . لمكتبة الشاملة.
- حليم بركات. (٢٠٠٤). *الهوية، أزمة الحداثة والوعي التقليدي*. بيروت : رياض الريس للكتب والنشر.
- خليل نوري العاني. (٢٠٠٩). *الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية،ط١*، . العراق، بغداد: مركز البحوث والدراسات الاسلامية.
- ديوان. (د.ت). *ديوان الامام علي، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي*. دار ابن زيدون، مكتبة الكليات الازهرية.
- زكي نجيب محمود. (١٩٩٣). *عربي بين ثقافتين، ط٢* . ار الشروق.
- سامي بن عبد العزيز العجلان. (د.ت). *اغواء العتبة، الانتشار العربي، ط١* . بيروت، لبنان: ٢٠١٥.
- سعد البازعي. (٢٠٠٥). *شرفات للرؤية العولمة والهوية والتفاعل الثقافي، ط١*، . الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- شاكر لعيبي. (٢٠١٨). *الاعمال الشعرية الكاملة، دبلغاريا، بلوفديف، ط١، ج١* . ار الدرويش للنشر والترجمة، .
- عبد الرحمان النوايتي. (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.). *السرد والأنساق الثقافية في الكتابة الروائية ط ١* . عمان، الأردن: ار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- ماجدة حمود. (مارس ٢٠١٣.). *إشكالية الانا والاخر نماذج روائية عربية*. الكويت : عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي. (٢٠٠٥). *القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨*. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد عابد الجابري. (١٩٩٨). *العرب والعولمة*. القاهرة : مركز دراسات الوحدة العربية .
- محمد عمارة. (١٩٩٠). *أزمة الفكر الاسلامي*. دار الشروق الاوسط للنشر.
- محمود خير الدين. (د.ت). *رمزية اليد في ديوان" كل ما صنع الحداد" لشاكر عبد الحميد، تاريخ الدخول ٢٠٢٣/٩/١٢ www. Alkitaba.com*.

- مراد وهبة. (٢٠٠٧). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- هاشم شفيق. (٢٠١٤). *بغداد السبعينات، الشعر والمقاهي والحانات، ط١*. بيروت: دار المدى للثقافة والنشر.